● حول المهرجان الأول للشعر الامازيغي بالناظور محمد ابتزيكا

يشكل المهرجان الاول للشعر الامازيغي بالناظور حدثا هاما يسجله تاريخ الثقافة الوطنية ببلادنا لا كحدث كمي يساهم في التراكمات الثقافية التي تتشكل من مساهمات مختلف رواد الثقافة المغربية الحديثة من شعر وقصة ومسرح وفن تشكيلي ، ولكنه حدث ـ تطور كيفي في تركيب المعادلة الثقافية ببلادنا. وقد شجع النظرة الاحتمالية والقصيرة لهذه التظاهرة على اصدار حكم بالمغالاة في اعتبار المهرجان تحولا كيفيا مقابل الاكتفاء بقناعة مترهلة بان الامر لا يعدو اضافة كمية في سياق الاضافات والمساهمات التي تضخمت في السبعينات بدخول الثقافة الشعبية اغنية وموسيقى ودراسة الى جانب الادوات الثقافية الرسمية المذكورة ، وبالتالي فان تاثيره على تركيبة المعادلة لا يعدو ان يكون اجراء تفكيكيا يجري تعديلا على ترتيب عناصر المعادلة دون ان يمس نتيجتها بتغيير .

والحقيقة أن هناك وضعية مشجعة على تمرير الحكم الاخير ، وهي وضعية ناشئة عن النظرة الاحادية الى النشاط الثقافي ببلادنا بنيات وأهداف ، ولم يقع الاستدراك ـ وهو استدراك ما زال متكاسلا ـ الا بعد ان رصدت الانتليجنسيا الثقافية ومعها الشغيلة الثقافية وجود رصيد هام من ثقافتنا الوطنية متداولا في اسواق ثقافية سوداء وبيضاء خارج الحدود وولد ذلك صدمة تتراوح بين الحدة والخفة والدغدغة . ومدلول الصدمة يستمد أبعاده من الاحساس بمبادرة الحركة الاستشراقية (أو الاستغرابية نسبة الى المغرب لا الغرب) الى افتضاض بكرة فتاة بدوية اسمها ثقافة الشعب بالمغرب .

كان الاستدراك وكانت نقطة البدء من جنوب المغرب متمثلة في محاولات النخبة المثقفة ثقافة غربية اسلامية المنطلقة من فكرة الاحياء : ووجدت هذه الانطلاقة مخصباتها في جامعة محمد الخامس التي اضافت الى ارشيفات مكتبها للبحث العلمي ملف « التراث الامازيغي » ، ولما كان مركز الثقل في هذه الدراسات هو الشعر فقد شجع الاحتكاك الكثيف بالشعر من جهة ، وغزارة هذا اللون من جهة اخرى على تجاوز مرحلة الاحياء والدراسة والتأمل ، الى الاضافة ،

وهكذا كان التحول من كمي الى كيفي وتبلور هذا التحول في المبادرة التي اتخذتها جمعية الانطلاقة الثقافية بالناظور عندما نظمت المهرجان الاول للشعر الامازيغي يوم 6 مايو 79 بنفس المدينة . ولا شك أن الصورة السمعية الكتابية التي سننقلها عن هذا المهرجان لمن شأنها ان تفصل مجمل هذه المدخل ـ المانيفستو ، وتوضح بعض نقطه الظلية .

كانت ملصقات الاعلانات عن هذا المهرجان ـ مزاحمة لملصقات اخرى حول السنة الدولية للطفل واسبوع المرأة الريفية على جدران مباني المدينة بكثافة ، دليلا كافيا لاقتياد الزائر المتفرج ، أو المهتم الى مكان التظاهرة بقاعة المحاضرات بالشبيبة والرياضة المحلية حيث حضر حوالي ثلاثمائة مشارك اغلبيتهم شباب ، طلبة ، معلمون ، أساتذة ، عمال ، حرفيون ، عاطلون ، مغاربة واجانب ، رجال ونساء . كان الهدوء بالقياس الى عدد الحاضرين أقوى من الهدير الذي يسبق عادة افتتاح نشاط ثقافي مماثل ، وكان هذا الهدوء يوحي بترقب وحذر رائد الفضاء الذي يضع قدميه لاول مرة على كوكب خارج الارض ، وكانت العيون الريفية المشدودة الى الخشبة تفقد حدتها الصارمة المعهودة ومستبدلة اياها ببريق تمتزج فيه النشوة والتوجس ، كانت هذه العيون تفرض على الزائر المهتم أن ينخرط في هذه الطقوس ويكيف نفسه مع مناخ التظاهرة وينتظر ...

ولم يكن الانتظار طويلا ... ففي الساعة 10 صباحا من اليوم المذكور افتتح المهرجان بكلمة الرئيس للجمعية الاستاذ مارزوق رحب فيها بالحاضرين مذكرا بالهدف من هذه التظاهرة الثقافية ملخصا هذا الهدف في :

1 ـ خرق الطابو المتمثل في الحصار المضروب على الثقافة الشعبية .

2 ـ تخليص هذه الثقافة من الطابع الاستهلاكي السياحي وانقاذها من الفولكلورية المتحفية

التي فرضت عليها .

3 ـ كسر اسطورة نخبوية الثقافة بافساح المجال امام فئات الشعب لممارسة الثقافة تلقيا وابداعا .

4 ـ هذه كلها ، يقول رئيس الجمعية ، اهداف مرحلية في نظرنا للوصول الى هدف اسمى وهو خلق ثقافة جديدة لا في المغرب وحده ولكن في العالم العربي كله ، وهي ثقافة ينتجها ويمارسها هذا الانسان في تفاعل ايجابي مع واقعه الاقتصادي والاجتماعي والسياسي مما يفسح المجال امام هذا الانسان ليساهم في الانتاج الثقافي على الصعيد العالمي كله مساهمة نطية تتفوز على المفاهيم المتحجرة للانخراط في المؤسسة الثقافية العالمية .

بعد كلمة الافتتاح تلا الرئيس قائمة القصائد التي ستلقى في المهرجان مع اسماء اصحابها وعددها اربع وعشرون منها اثنتان بالامازيغية السوسية والباقي بالريفية ، ثم ذكر الحاضرين أن تسع قصائد من بين ما سيقرأ ستدخل في اطار مباراة شعرية . أما الشعراء الذين شاركوا في هذه التظاهرة فمنهم :

القادري محمد ـ ادوصباح محمد ـ أخرباش محمد ـ بن جيلالي ـ احنكار محمد ـ الحبشاوي محمد ـ مارزوق ـ ميرا ـ فاطمة (اسم مستعار) ـ ابراهيم اخياط ـ أكواواحمد .

ويلاحظ ان التشكيلية الاجتماعية للشعراء المشاركين في المهرجان تمتاز بتنوع من حيث الجنس والعمر والنشاط المهني ، وقد شاركت فيها المرأة ـ دون ان تغادر عتبة دارها ـ (فاطمة) وكان سلم اعمار المشاركين يتدرج من 1930 ـ الى 1950 كما أن المشاركين ينتمون الى قطاعات مهنية مختلفة ، طلبة ، معلمون ، أساتذة ، عمال ، تجار صغار ، عاطلون...

بعد هذا التقديم بدأت قراءة القصائد حسب الترتيب التالي :

ثينيبيا (الفتيات) ـ انيغاس ايما (قلت لامي ـ الدنيا تدور ـ أمطاون (الدموع) ـ شحال عانقيم نجنا (الى متى نبقى مقعدين) ـ ماسيدنت (هل صحيح !) ـ فلسطين ـ اشفينغ (كفى) ـ اياونيو قدور (حفيدي قدور) ـ أبريد ـ بوفجافر (طريق بوجافار)ـ وحرغ صقاع (تعبت من الصمت) ـ انويور أنويور (سنمشي ، سنمشي) أحران روحن ـ تمارت (الارض) ـ اخدامن نزغنغن (عمال زغنغن) ـ أخدام نرمغري (عامل بناء) ـ أمان (الماء) ـ تودرت (المياه) ـ وادي المخازن ـ عبد الكريم الخطابي ـ ايرافان (العطش) الحزمة نتمازيرت (توسل اولى البلد) .

كانت القصائد المقروءة في المهرجان تفجيرا لتراكمات من الكبت وتنفيسا لخزان من المعاناة ، الا أن هذا التفجير وذلك التنفيس ليس ثبوتيا أو مجانيا ، بل كان مشروعا لرؤية مستقبلية مشرقة تنطلق من فهم الواقع المفجر في اتجاه التجاوز والتغيير لتاسيس عالم جديد توامه المساواة بين الرجل والمرأة ضمن المساواة بين أفراد المجتمع في الحقوق والواجبات . وكانت صيغ التفجير المذكور تختلف باختلاف الشعراء ، أي باختلاف الرؤى ، الناشيء عن اختلاف المواقع الاجتماعية للمبدعين . الا أن نقطة الالتقاء كانت الرفض ، رفض الكبت الذي يتسلسل من داخل البيت الى الشارع ، من العلاقات الجنسية (بمفهومها الانساني) الى الكبت السياسي ... ورفض الاستلاب الذي يتدرج من اللغة الى الفكر الى التاريخ الى علاقات الانتاج ، ورفض القيم المواضعات المترعرعة في ظل هذه العلاقات من الرشوة حتى التقاليد الزوجية المتحجرة

ولم يكن ذوي التفجيرات مطوقا في حدود دائرة الريف ، ولم تتجه القصائد المفجرة نحو تحجيم المعاناة المعبر عنها في حدود اقليمية ضيقة ، وانما كان كثير منها يقفز على تلك الحدود مستلهما الواقع العربي ككل بل وواقع العالم الثالث اجمع .

واختلاف صيغ التعبير عن الرفض يتجلى في تنوع الاطر التعبيرية تنويعا يجعل من « تطوير الثقافة الشعبية » شعارا ذا محتوى . وان كان هذا المحتوى يحمل ملامح التجربة الشعرية العربية ، ويمكن تفسير هذا « التلاقح » بعوامل العمر والثقافة والمهنة .

فقصائد الشباب ـ الطلبة تتنفس في مناخ رومانسي ثوري مضغوط بالاغتراب والتمزق والبحث عن وجود عارب (بالطيف ـ انيغاس ايما ـ سبحان الله ـ ما سيدنت ؟) ، ويكتفي العنصر النسوي من هذه الفئة بعرض مأساته الخصوصية (الحجاب) : في وحرغ صقاع . ويتبنى الشباب ـ الاساتذة الواقعية الاشتراكية في مجابهة الواقع ، وهنا تطل ملامح

قصيدة الشاعر فؤاد نجم اكثر من اطلالة ، تطل في التشبث بالارض ، وفي التبادل الشخصي بين « الارض » ، وربط الارض باللغة ، وربط مصير الانسان بمصير الارض ، ولذلك تتخذ المرأة « عمال زغدغن ، اخدام نربغري ، بتجربة «شرم يم» «للي الشيكارة» ، ، ويتكرر ياسين المصري وابن البلد في احمد السريفي .

بينما يتعامل جيل الاربعينات مع الواقع بأسلوب تسجيلي كاريكاتوري يعوض العجز عن الفهم العميق للواقع المجابه ، ببراعة فائقة في السخرية وتوظيف الامثال الشعبية ، وطول النفس في التقاط صور الواقع المنتقد . ويمثل احمد القادري (هوميروس الريف كما يسمونه) رائد هذا الاتجاه ، كما تمثل قصيدته « ابريد نيوجافار » قمة التصوير الكاريكاتوري لتقهقر الخدمات الاجتماعية ، شبيهه بقصيدة « المطعم البلدي » لمحمد بن ابراهيم المراكشي .

اما الشعراء العمال فيعبرون عن احتجاجهم تعبيرا مباشرا ، ويطرحون مواقفهم بوضوح وتقريرية ، ومن اهم هذه المواقف الدعوة الى توحيد العمال الفلاحين (ق انويور ، انويور) ، وتبني اسلوب « العودة الى الوراء من اجل القفز الى الامام » ق : امطاون .

الا ان اهم الظواهر التعبيرية المسجلة عن قصائد المهرجان هي : الالحاح على ايقاع « الارض » ، وربط الارض باللغة ، وربط مصير الانسان بمصير الارض ، ولذلك تتخذ المرأة بعدا رمزيا مرجعه الارض ، (ق : هنية) ، ويصبح اغتصاب اللغة اغتصابا للارض (ق . تمازيغت لخرباش) . وهذه العلاقة بين الارض واللغة تفترض التعبير عن هموم الانسان وطموحاته بلغته (ق تمازيغت للقادري)

اما بناء القصائد الملقاة في هذا المهرجان فيتأثر بتيارين متناقضين :

ـ تيار يحافظ على معمارية القصيدة الامازيغية التقليدية ، حيث يلتزم الشاعر بالقافية والوزن ، وقد عبر هذا التيار عن نفسه من خلال مظهرين تقليديين هما ازيري (الرباعيات او الثلاثيات) وتقصيصت (الشعر القصصي او الملحمي) .

ـ تيار متحرر من البناء التقليدي للقصيدة الامازيغية ، وتتبناه فئة الشباب ـ الطلبة ، (ق : عبد الكريم مثلا) .

مناقشة :

على الساعة الرابعة بعد الزوال نظمت جلسة خاصة لمناقشة القصائد المقروءة في المهرجان، تحت اشراف وتوجيه لجنة تتركب من الاساتذة : مارزوق محمد ـ قاضي فدور ـ قمري الحسين .

ومن اهم القضايا والملاحظات التي طرحتها تدخلات الجمهور الحاضر :

1 ـ التنويه بوعي الشعراء بمسؤولياتهم التاريخية في الالتحام بقضايا الجماهير الشعبية ، والتمهيد لخلق ثقافة جديدة تعيد الجماهير المهمشة الى مواقعها الطبيعية في الابداع والممارسة الثقافيين .

2 ـ ضرورة تجاوز الممارسة التقليدية الصارمة للقصيدة الامازيغية وكتابة قصيدة حرة بالمقابل .

3 ـ المطالبة بتحرر المبدع من النموذجية التي تدفعه الى استيراد انماط الصياغة من ثقافات اجنبية عن الارضية الشعبية ، وبالمثل ، على الناقد ان يتخلص من المقاييس الدخيلة المستوردة التي يتعامل بها مع العمل الشعري الشعبي .

4 ـ شجب الاتجاه الرومانسي الذي سار فيه بعض الشعراء باعتباره وليدا غير شرعي في الثقافة الشعبية .

5 ـ مطالبة الشعراء المبدعين بمضاعفة جهودهم حتى يعيدوا الى الامازيغية نقاوتها . وذلك بتخليص هذه اللغة من المعجم الدخيل وتعويضه بمعجم اصيل .

وقد توجت هذه الجلسة باعلان اسماء الشعراء الخمسة الفائزين بجوائز المهرجان ، وقد روعي في استحقاق هذه الجوائز القيمة الفنية ، والقيمة الفكرية ، وطريقة القراءة .

حوار :

وعلى هامش مهرجان الشعر الامازيغي الاول اجرينا حوارا مع بعض الشعراء الذين شاركوا في هذا المهرجان ، وبعض اعضاء جمعية « الانطلاقة الثقافية » التي نظمت المهرجان . وقد اخترنا

من الشعراء احمد القادري الملقب بهوميروس الريف واجرينا معه الحوار التالي :

س : هل يمكن ان تحدثونا ـ ولو باقتضاب ـ عن تجربتكم الشعرية ؟

ج : كانت قصة الولادة طريفة ، يرجع تاريخها ومكانها الى احدى الحفلات المدرسية ، عندما كلفت باعداد نشاط ما من الانشطة المادية المستهلكة في هذه الحفلات ، ولما كان المجال الزمني لا يتسع لاعداد برنامج احتفالي مكرور ارتجلت مسرحية شعرية باللغة الامازيغية تتناول تقاليد الزواج بالريف ، وقد مثلت فيها الاب ، وقامت بدور الفتاة (البنت) احدى تلميذاتي . وكانت التجربة مفاجئة للجمهور الذي لم يتعود مثل هذا الانتاج سواء من حيث المضمون أو من حيث اللغة ، وكانت تشجيعات الجمهور والاصداء التي خلفتها هذه التجربة حافزا دفعني الى الاستمرار في التجربة ابداعا ، وصقلها بالبحث الميداني المتواصل .

س : ما حصيلة هذا الاستمرار في البحث والابداع ؟

ج : اكتشفت جوانب مشرقة من تراثنا الشعبي واستفدت من ذلك ، وقد انعكست هذه الاستفادة على انتاجي الذي يربو الآن على 800 بيت شعري !

س : ما هي المقاييس التي استند اليها الذين يلقبونك بهوميروس الريف ؟ هل هي غزارة الانتاج كميا ، أم اسلوبك المميز في القصائد (اسلوب الحاكي) ، ام انتجت قصائد ملحمية بالمفهوم الحقيقي للملحمة عند اليونان ؟ وامام هذا الاحتمال الاخير من حقنا ان نتساءل : هل هناك مرجع في التراث الشعبي الريفي رجعت اليه في صياغة الملحمة ؟

ج : للمتلقين حرية تلقيبي باي لقب ، واعتقد ان هذا اللقب الصق بي تجاوزا من باب الدعاية والاعجاب بطول النفس الشعري ، الا ان هناك فعلا في انتاجي ملامح الملحمة التي اشرتم اليها (اسلوب الحاكي) ، وقد كانت نتيجة تمثلي للقصائد الملحمية التي احتككت بها سماعيا في الريف ، وهنا اجيبك عن سؤالك الاخير مؤكدا ان فن الملحمة معروف في الريف ، ولا تزال هناك آثار متداولة شفاهيا في قبائل بني ورياغل وتمسمان في شكل قصائد تتحدث عن بطولات عبد الكريم الخطابي في مقاومته ضد الاستعمار .

ورغبة في اجراء مزيد من الكشف عن جوانب تتعلق بقضية الثقافة الشعبية لفائدة المثقف العادي عموما ،والطليعة المثقفة التي تهتم بهذا الموضوع في سياق اهتمامها بخلق ثقافة جديدة جماهيرية تقدمية ، اجرينا الحوار التالي مع عضوين من اعضاء الجمعية وهما الاستاذان فاروق محمد استاذ باحدى ثانويات المدينة ، وقاضي قدور استاذ مادة اللسنيات بكلية آداب فاس :

س : ان الاعلان عن مهرجان الشعر الامازيغي ـ مجرد الاعلان بغض النظر عن التنفيذ ـ يعتبر حدثا يثير حساسية لا تجهلونها ، فهل يمكن ان تحددوا الهدف من هذا المهرجان ؟

ج ـ ذ . مارزوق : اننا لا نجهل ولا نتجاهل هذه الحساسية الناشئة عن رواسب ميثولوجية اي تراكمها الى ممارسات لا ديموقراطية على الساحة الثقافية . ولهذا فنحن نهدف ـ لا في اطار هذا المهرجان وحده ، ولكن في اطار نشاط جمعيتنا التي انجبت هذا المشروع ـ الى تصحيح مسار الحركة الثقافية ببلادنا ، عن طريق اعادة الاعتبار الى ثقافة الشعب ، أي اعادة الثقة الى الشعب بنفسه ، بفاعلياته الفكرية ، وامكانياته الابداعية . فالثقافة الشعبية في نظري هي مجموعة ممارسات مختلفة تصدر عن الجماهير ، لكن هذه الجماهير تتعرض لسلسلة من الكبت تصل الى قمع هذه الممارسات ، وتحجز في استلاب ثقافي يجعلها مجبرة على استهلاك ثقافة مفروضة عليها، فيضاف الى الاستلاب اغتراب وازدواج في الشخصية . والآن وبعد عملية تنويم طويلة يتحمل المثقف الذي يشعر بالانتساب الى الشعب مسؤولية رفع هذا الاستلاب . اعادة الثقة اذن هدف مرحلي يستتبع السير لتحقيق هدف اعمق وهو دفع الجماهير الشعبية الى الانتاج والممارسة الذاتيين .. وفي الطريق نحو هذا الهدف نحقق مهمة القضاء على ظاهرة مرضية ناتجة عن الوضع المذكور ، وهي النخبوية الثقافية التي نشاهد آثارها السلبية متجلية في اقتصار الممارسات الثقافية على فئة تقل أو تكثر تبعا لحجم المدينة الديموغرافي ، ولكنها في القلة والكثرة لا تشكل سوى نسبة ضئيلة بالقياس الى بحر آلاف من الجماهير المهتمة .

قد تكون الحساسيات المسجلة في هذا الاطار تعود الى مسالة اللغة ، ولكننا نظن أن تحركنا لا ينطوي على اية نية عدائية ، ولا يفرز أي موقف متشنج تجاه اللغة العربية التي هي بدورها

احد عناصر الواقع الفكري والثقافي للجماهير الشعبية بالمغرب ، لكن التعامل مع هذا الواقع بجد وصدق يقتضي الاعتراف بحقيقتين اولاهما وجود لغة اخرى الى جانب العربية ، وثانيهما انتشار الامية التي كانت النخبوية لحد نتائجها ، هذه النخبوية تترجم على مستوى مدينة الناضور مثلا باقتصار عدد المشاركين الذين تستوعبهم الانشطة الثقافية بالعربية على 50 مشاركا فقط ! واذا كنا نؤمن بحرية التعبير فعلينا أن نؤمن بحرية اللغة التي نعبر بها ، وعند ربط هذا المطلب بالمغرب يصبح الاعتراف باللغة الامازيغية واجبا ، ولا نعني هنا الاعتراف المبني على المجاملات العاطفية والتصورات السياسية ،

د ـ قاضي : كامتداد للاشارة الاخيرة اضيف ان اعترافا كهذا الذي اشار اليه الاخ مارزوق يهدف الى تدجين اللغات غير العربية ، ان الذين يطرحون ـ عن حسن نية او بدافع نفعي ـ الدفاع عن الثقافة الشعبية نجد استجابتهم غير كافية ، بل نجد غالبيتهم يكتبون في معزل عن واقع الجماهير الذي يدعون انهم يدرسون او يطورون ثقافتها ، لا تكفي التقدمية وحسن النية هنا ، الامر يتطلب النظرة العلمية ، وبخصوص حرية التعبير وحرية اللغة اقول : ان تحرير الثقافة من الاقصاء هو الطريق الى تحرير الانسان .

س : ان اي مشروع يطرح اليوم لخدمة الثقافة الشعبية يجد نفسه متماسا مع التراث ، والتعامل مع التراث افرز على الساحة الفكرية ثلاثة مواقف : موقف سلفي تكريسي ، وموقف نفعي انتقائي ، واخيرا موقف متطرف رافض للتراث كليا ، هذا على مستوى العربية ، اما على مستوى الثقافة الشعبية فان الحكم الجاهز للاستعمال في حق كل من يتحرك في هذا الحقل هو احياء التراث ، فاي موقف تتبنون في هذا المجال ؟

ج : مارزوق : نحن لا نرفع شعار « احياء التراث » لاننا نعتبر هذا التراث حيا بحكم ارتباطه بحياة الجماهير التي انتجته . نحن نعمل من اجل تطوير هذا التراث لا كمادة متحفية للاستهلاك السياحي ، وانما كفاعلية انسانية ، كثقافة شعبية يمارسها الشعب ـ رغم القمع والاستلاب اللذين اثرا تاثيرا تختلف درجتهما من زمن الى زمن ومن مكان الى مكان ـ ممارسة يومية شفوية وحركية . هذه الممارسة يلاحقها تطور مواز لتطور المجتمع ، ويتشخص هذا التطور اليوم في اختراق هذه الثقافة حدود الجبل والوادي لتحقق وجودها في شكل مؤسسات ساعد على انتصابها انتشار وسائل الاعلام .

س : يفهم من كلامكم ان تطور الثقافة الشعبية يرتكز حول رفع الاستلاب ، وانتم تعرفون ان الثقافة الوطنية عامة لم تتخلص من هذا الاستلاب ، فهل انتم واثقون من امكانياتكم ـ كجمعية اولا ، وكجهة ثانيا ـ من تحقيق هذه المهمة ؟

ج : مارزوق : اننا واثقون ، وثقتنا مستمدة من رغبة الجماهير وتصميمها على اثبات هويتها وحضورها . ومن هذه الثقة تشكلت لدينا قناعة بان مشكلة الاستلاب هي مشكلة وقت ليس الا . ونحن لا ننكر تاثير الثقافة العربية ، وقد حددنا موقفنا من العربية ، ونعتقد ان عملنا من اجل تطوير الثقافة الشعبية يهم العربية نفسها الجامدة في قوالبها عدة قرون . اننا لا نتفق على تجزيء الاستلاب الثقافي ببلادنا لان ذلك يعني ضمنيا اثارة الحساسيات العرقية ، فالمغاربة يشتركون في تاريخهم . ان المشكل مشكل ثقافة وتواصل ، والتواصل لا يكفي شفويا لان عملية التواصل تعتمد على طرفين : الموصل (صاحب الخطاب) ، والمتلقي او المتوصل . والموصل لا يمكن ان يبلغ ارسالياته الى كل المتلقين الا اذا كانت مكتوبة ، ومن هنا تستمد الامازيغية مشروعيتها في الكتابة .

س : تطرح بعض الجمعيات المتحركة في هذا الاطار شعار « الفكر الامازيغي » ، ولاشك ان هذا الشعار يجعل توجها نحو فصل العنصر الامازيغي بالمغرب عن العنصر العربي من جهة ، وعن الحضارة المغربية التي هي جزء من الحضارة العربية ، ما موقفكم من هذه القضية ؟

ج : قاضي وفق منظور علمي تقدمي نرى أن من المجازفة الادعاء بوجود فكر امازيغي مستقل او متميز في المغرب ، كما لا يجوز الادعاء بوجود فكر عربي متفرد في المغرب .. الا ان الذي يسمح بهذه الاطروحة المتعصبة في نظري هو الممارسات الثقافية الاديموقرايطة ببلادنا . ويتمثل ذلك في تجاهل الامازيغية كعنصر مهم في تكوين الشخصية المغربية .

مارزوق : هناك علاقة جدلية بين الثقافتين في تكوين الفكر المغربي الذي ليس فكرا عربيا محضا ولا امازيغيا صرفا . وبالرجوع الى التاريخ نجد ان الثقافة الرسمية فرضت نفسها وهمشت الثقافة الشعبية . ومن الخيانة لهذا التاريخ ان بعض مثقفينا المرموقين (بالعربية) يلتجئون الى المغالطة ومسخ الحقائق معتمدين على المصادر الاستعمارية ومجانبين للحقائق العلمية .

وللقضية بعد سيكولوجي يتلخص في رد الفعل .. فالعرب عندما يناقشون حضارتهم وثقافتهم القديمتين يفعلون ذلك دون الشعور بعقدة نقص أو خوف ، بينما في المغرب يقع العكس ، خصوصا من جانب العنصر الامازيغي الذي يتخوف دائما من اثارة الحساسيات العرقية .

س : ينجلاب حركة تطوير الثقافة الشعبية الامازيغية تياران احدهما لغوي يهتم بالحفاظ على كيان اللغة (أو اللهجة ؟) الامازيغية كاداة تواصل ، والتيار الثاني فكري يتجاوز الاول ويتجه نحو البحث عن « الجذور » تارة تحت شعار « الحضارة » وتارة تحت عنوان « الفكر » لخلق انسان مغربي جديد . ويرى المثقفون التقدميون في كل الاتجاهين مبالغة وافتعالا في طرح مشاكل تعتبر هامشية ازاء المشاكل الآنية الملحة على الساحة الاجتماعية ، وبالتالي فان هذين التيارين كليهما يغذيان الصراع العرقي على حساب الصراع الطبقي . فما هو موقفكم من هذا الانتقاد ؟ .

مارزوق : اننا نرفض أولا كل محاولة تستهدف الفصل بين اللغة والفكر ، ونضيف الى الرفض اصرارنا على التأكيد بأن اللغة الامازيغية في غنى عن الاحياء ، لانها حية فعلا ، ولكن هدفنا هو تطوير هذه اللغة ، وتطوير اللغة لا ينفصل عن تطوير الفكر . اما فيما يخص الانتقاد الموجه الينا من طرف المثقفين التقدميين فنحن نعتبره متعسفا وبالتالي مرفوضا . وهنا لا بد من توضيح حقيقة مهمة في اطار الوحدة وهي ان الوحدة على الصعيد الاقليمي والقومي تفترض وحدة فكرية قبل الوحدة السياسية ، مثلما ان الوحدة الترابية تتطلب وحدة وطنية ، وعندما نطرح قضية الوحدة الفكرية فاننا نؤمن ان من اهم نتائجها المرتقبة خلق ديموقراطية على الصعيد الثقافي ثم السياسي ، نحن لا نتجاهل تجربة بعض البلدان الاشتراكية التي تحتضن ظاهرة مماثلة ... اننا نؤمن بوحدة افقية تنبع من القاعدة الجماهيرية لا وحدة عمودية تفرض على هذه القاعدة ، نؤمن بوحدة تفرض نفسها عبر قناعة الجماهير الشعبية ، وذلك لن يتأتى الا في اطار ديموقراطي تتكافأ فيه فرص الممارسات الثقافية والتفاعل بين التشكيلات اللغوية المتواجدة ، ولهذا نعتبر ان المتحفظين من حركة تطوير الثقافة الشعبية الامازيغية بدعوى الخوف من تحييد الثقافة أو تحجيم الصراع الطبقي ، نعتبر انهم ينطلقون من نظرة ضيقة وفهم ساذج للصراع الطبقي الذي يركزونه في الخبز ، ناسين أو متناسين ان الصراع الطبقي لا يمكن حصره في ذلك ولا يمكن عزله عن الانسان المنتج للخبز ، وخصوصية هذا الانسان التي يستمدها من الخصوصية اللغوية والجغرافية .

قاضي : لا اوافق على التأرجح بين « لغة » و « لهجة » عندما يتعلق الامر بالامازيغية ، كما يلاحظ في سؤالكم . اننا نمارس مغالطة اخرى عندما نفرق بين اللغة واللهجة ، وأنا في هذا الصدد أتبنى فكرة « لويس جون كالفي » الباحث التقدمي في علاقة اللغة بالمجتمع ، والذي ينتقد كل التصورات العلمانية ومنها تصورات « سوسير » ، والتصورات الانتروبولوجية الاستعمارية التي توهم بوجود لغة ولهجة . والاستعمار يمارس هذه التفرقة ليفرض لغته كلغة ويقمع لغة المستعمر (بفتح الميم) ويصنفها كلهجة . يقول ل. ج. كالفي : « ان اللهجة لغة قمعت سياسيا ، واللغة فرضت كلغة سياسيا » . ومن هنا اذن يجب قلب مقولة « هذه لغة (= ايجابية) ، وتلك لهجة (= سلبية) » بمقولة « هذه لغة مفروضة ، وتلك لغة مقموعة »، التفريق اذن مفروض على اللغة من الخارج، وليس له وجود شرعي في ذات اللغة ، انه تفريق مفروض بتدخل العامل السياسي الذي هو بدوره استجابة للواقع الاقتصادي ، وفي هذا المجال نجد انفسنا مضطرين الى القول ان هناك لغة رسمية ببلدنا ، ولكن لا توجد لغة وطنية : وانطلاقا من هذه الوضعية تصدق علينا مقولة بارت : « ان اللغة والثقافة المسيطرة تفرض مجتمعا بدون هوية » .

س : ما هي علاقة جمعيتكم بحركة بعث التراث الامازيغي بسوس خصوصا جمعية التبادل الثقافي ؟

ج : مارزوق : حاولنا ربط العلاقة مع جميع الجمعيات الثقافية الجادة بغض النظر عن اشكال

وأساليب خدمتها للثقافة الشعبية ، آخذين بعين الاعتبار مستقبلية الجمعية في اطار خلق ثقافة جديدة . وفي هذا النطاق اعلنا على اعمدة بعض الصحف الوطنية عن هذه الرغبة ، اما علاقتنا بالحركة في سوس فان ما تحقق منها لا يعدو أن يكون اتصالا غير مباشر ، لكن لنا موقف تجاه هذه الحركة ، وهو موقف انتقادي ، فهي حركة نخبوية ينحصر نشاطها في صالونات الرباط ولا ينزل الى ساحة الجماهير ، ولكن هذا الانتقاد لا يمنعنا من تقدير تصورهم لعملية « بعث التراث » !! ، ونحن مع هذا مرتاحون الى الاستجابات الصادرة عن بعض الجمعيات في وجدة وتاوريرت (رغم اختلاف اللغة) الراغبة في التعاون من أجل تطوير الثقافة الشعبية .

س : هل يمكن تحديد موقعكم في حركة تطوير الثقافة الشعبية الامازيغية ؟

ج : مارزوق : يصعب تحديد هذا الموقع خصوصا واننا لم نحتك احتكاكا كافيا بالتجارب الاخرى . نحن نعيش عزلة نابعة من طبيعة العمل نفسه ، عمل تطوير الثقافة الشعبية الذي يتعرض للمضايقة والحصار .

س : الاعمال التي انجزها عمر امرير عن التراث الامازيغي تقتصر على سوس ، مما يخلف انطباعات متعددة عند المتلقي العادي . ويطفو فوق هذه الانطباعات ثلاثة انطباعات واحتمالات رئيسية :

ـ كون سوس مركز الثقل في التراث الامازيغي .

ـ وجود حاجز لغوي بين أمازيغ المغرب .

ـ وجود حاجز نفسي ناشيء عن رواسب انتروبولوجية تصنف المغاربة الامازيغ الى ثلاثة نماذج بشرية من حيث السلوك طبقا لمواقعها الجغرافيه ، فهل تؤيدون هذه الانطباعات ـ الاحتمالات ؟

ج : قاضي : يجب أولا رفع الاسطورة عن التراث ، هذه الاسطورة التي ساهم الاستعمار في وضعها وتركيزها في سوس على الخصوص . ومن أهم من ساهموا في خلق هذه الاسطورة « اندري باسيي » و « لويس دوفوكو » واضع أول قاموس في الامازيغية ، اي انه ـ تاريخيا ـ وقع الاهتمام بسوس في الدرجة الاولى ، وتليها منطقة الاطلس في الترتيب ، في حين تأتي منطقة الريف في المؤخرة ، وهنا لا بد من ان نلفت الاهتمام الى التقسيم المفروض على المغاربة حتى من نوع الاستعمار نفسه (فرنسا ـ إسبانيا) ..

هذه الوضعية ادت الى تطور لا متكافيء على صعيد الدراسات والبحوث المهتمة بالامازيغية ولقد عمق هذه الفروق تدخل النمط الرأسمالي في العلاقات الاجتماعية ، مما وفر لبعض المناطق الامازيغية فرصا للظهور على حساب مناطق اخرى . فهناك اذن ظروف تاريخية مسؤولة عن خلق الانطباع الاول وهو تغليب النصاب السوسي في المساهمة الحضارية والثقافية ، ومن هنا نعارض الانطباع الاول .

اما عن الحاجز اللغوي فيجب أن نذكر ان هناك نية مبيتة قبلية لعزل هذه الجهات البيربيروفونية عن بعضها ، هذه الجهات التي يجمعها قانون « التعدد في اطار الوحدة اللسنية »، فليس هناك فرق لغوي ، ولا تشكل الفروق النسبية في الاكسيكولوجيا (المعجم) ، وبعض التميزات الفونيتيكية حجة لاثبات الفرق ، فهذه الظاهرة موجودة في العربية نفسها حتى بعد توحدها في لغة قريش . ثم ان التجارب الميدانية تثبت ان الفروق المذكورة لا تشكل حاجزا تواصليا . فكما لا يتعذر التواصل بين متكلم باللغة الدارجة المغربية ومتكلم بالدارجة المصرية.. لا يصعب هذا التواصل بالمثل بين ريفي وسوسي ، او بينهما واطلسي ...

وفيما يخص الانطباع الثالث أرى ايضا انه من تاثير النظرة الاسطورية الى التراث ، فالحاجز النفسي المزعوم ، والمؤدي الى « التنافر » بين التشكيلات المذكورة هو من خلق الاستعمار والرجعية لتحقيق مصالح طبقية في اطار « فرق تسد » ، وعلينا ان نذكر ان هذا الحاجز المصطنع يوجد حتى بين من يتكلمون العربية ، وهو في العمق ليس حاجزا بين تشكيلات لغوية ، وانما هو حاجز بين تشكيلات اجتماعية متناقضة .

مارزوق : هناك حاجز جغرافي لا نفساني ، ويضاف الى الحاجز الجغرافي حواجز تاريخية واقتصادية . فالريف مثلا متفتح على الشمال (اوروبا) اكثر من تفتحه على الجنوب (المغرب وافريقيا) بسبب العزلة المفروضة عليه .

انجاز محمد ابزيكا